وزارة التعليم العالي والبحث والعلمي

جامعة القادسية /كلية التربية

قسم علوم القران والتربية الإسلامية

التوبة بين القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف

بحث تقدمت به الطالبة **زينب علي هادي جودة** قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية في كلية التربية/جامعة القادسية

وهو جزء من متطلبات نيل شهادة البكالوريوس في علوم القرآن والتربية الاسلامية

إشراف

م.م. ايمان عليوي نايف

١٤٤٠ ٢٠١٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾

صدق الله العلي العظيم

(الزمر/٥٣)

أحمد الله عز وجل على منة وعونه لإنهاء هذا البحث إلى الذي وهبني كل ما يمكن حتى أحقق له آماله إلى من كان يدفعني قدما نحو الأمام لنيل المبتغى إلى الأنسان الذي أمتلك الإنسانية بكل قوة، إلى الذي سهر على تعليمي بتضحيات جسام مترجمة في تقديسه للعلم إلى مدرستي الأولى في الحياة أبي الغالي على قلبي أطال الله في عمره.

أهدي مشروع تخرجي إلى من تجرع الكأس فارغاً ليسقيني قطرة حب إلى من كلت أنامله ليقدم لحظة سعادة إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم إلى من أعطتني الحب والحنان إلى رمز الحب والشفاء إلى القلب الناصع بالبياض والدتي الحبيبة.

إلى أخوتي وأخواتي الذين تقاسموا معي عبء الحياة إلى من كانوا ملاذي وملجئي إلى من تذوقت معهم أجمل اللحظات إلى من سأفتقدهم واتمنى أن يفتقدوني إلى من جعلهم الله أخوتي بالله ومن أحببتهم بالله طلاب قسم علوم القرآن.

إلى من يجمع بين سعادتي وحزني إلى من أعرفهم ولن يعرفوني إلى من أتمنى أن أذكرهم إذا ذكروني إلى من أتمنى أن تبقى صورهم في عيوني.

الباحثة

شكر وعرفان

قال رسول الله (صلى الله عليه واله): ((من لم يشكر المخلوق لم يشكر الله))

صدق رسول الله

الحمد لله على أحسانه والشكر له على توفيقه وأمتنانه ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه ونشهد أن سيدنا ونبينا محمد عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه (صلى الله عليه وآله وسلم)، بعد شكر الله سبحانه وتعالى على توفيقه لنا لإتمام هذا البحث المتواضع أتقدم بجزيل الشكر إلى الوالدين العزيزين الذين شجعوني وأعانوني على الأستمرار في مسيرة العلم والنجاح وإكمال الدراسة الجامعية والبحث كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى من شرفتني بإشرافها على مذكره بحثي الأستاذة (ايمان عليوي) التي لن تكفي حروف هذه المذكرة لإيفائها حقها بصبرها الكبير علي، ولتوجيهاتها العلمية التي لا تقدر بثمن والتي ساهمت بشكل كبير في إتمام واستكمال هذا العمل فجزاها الله عنا كل خير ولها منا كل التقدير والأحترام وإلى من وقف على المنابر وأعطى من حصيلة فكره لينير دربنا إلى الأساتذة الكرام في كلية التربية وبالأخص أساتذتي الكرام في قسم علوم القرآن والتربية الاسلامية إلى كل من أشعل شمعه في دروب عملنا لهم جزيل الشكر والعرفان.

زينب

المحتويات

الموضوع	الصفحة
الآية القرآنية	أ
الإهداء	ب
شُكر وعرفان	ج
المحتويات	د
المقدمة	١-٢
الفصل الاول	٣
المبحث الاول /التوبة في اللغة	٣-٤
المبحث الثاني/ التوبة اصطلاحا	٥ -٧
المبحث الثالث/ العلاقة بين التوبة والاستغفار	٨- ١٤
الفصل الثاني	١٥
اولا / الموارد القرآنية لمفهوم التوبة	١٥
ثانيا/ السياق القرآني لمفردة التوبة	١٦ ــ ٢٦
الفصل الثالث	٢٧
موارد التوبة في الحديث النبوي الشريف	٢٧ - ٣٧
الخاتمة	٣٨-٣٩
المصادر والمراجع	٤٠-٤٣

المقدمة

أبدأ مقدمتي بأقتباس من خطبة سيدتي فاطمة الزهراء (عليها السلام) تقول فيها: ((الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدم، من عموم نعم أبتداها، وسبوغ الاء أسداها، وأحسان منن والآها، جم عن الأحصاء عددها ونأى عن المجازاة أمرها، وتفاوت عن الأدراك أبدها))[1]، والصلاة والسلام على النبي المصطفى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين

وبعد...

فإن من المواضيع المهمة التي شغلت الناس هي توبة الله على عبده كلما اخطأ فأصبح التساؤل عن حجمها وشروطها ومعناها ومن هم التائبين ولمن التوبة وعلى ماذا يتوب الأنسان كل هذه اسئلة شوقتني كإنسان مسلم اولاً وكطالب علم ثانياً الى أن أبحث عن أجابات توضح لي ولو قليلاً تلك الأمور، فإن التوبة هي عودة من المخلوق إلى الخالق بقلب نادم على معصيته، راجياً عفوه ورضاه، باكياً خوفاً من عقابه، ويجب على التائب أن يكون مؤمناً قولاً وفعلاً واعتقاداً، فأعداء الانسان كثيرون من شياطين الجن والأنس يحسنون القبيح ويقبحون الحسن يدعون إلى الشهوات ويقودون النفس إلى مهاوية الرديء فتأتي رحمة الله الرؤوف الرحيم اللطيف الخبير الذي فتح لعبادة أبواب التوبة ودلهم على الاستغفار.

وقد أقتضت طبيعة البحث أن يكون على مقدمة واربعه فصول وخاتمة لأهم نتائج البحث وقائمة بمراجع ومصادر البحث.

تضمن الفصل الأول: مفهوم التوبة لغةً واصطلاحاً، والعلاقة بين التوبة والاستغفار، وشروط التوبة، والفصل الثاني: تضمن الموارد القرآنية لمفهوم التوبة، والفصل الثالث: الموارد التي تضمنها الحديث النبوي حول مفهوم التوبة، والفصل الرابع وازن بين ما ورد في القرآن والحديث النبوي. محدداً أثر القرآن في أحاديث الرسول بشكل مباشر وغير مباشر ولعل أبرز المشكلات التي واجهتها اثناء عملي في هذا البحث: ضيق الوقت وصعوبة الحصول على بعض المصادر المهمة لعدم توفرها في المكتبات وفي ختام هذه المقدمة: أقر أن أغلب الاشياء أن لم يكن جميعها ناقصة والكمال لله وحده.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الطيبين الطاهرين.

الباحثة

الفصل الاول

١- المبحث الاول: التوبة في اللغة.

٢- المبحث الثاني: التوبة في الاصطلاح.

٣- المبحث الثالث: العلاقة بين التوبة والاستغفار.

المبحث الاول: التوبة في اللغة

تتفق معظم المعاجم اللغوية على أن مادة توب أو تاب هو الرجوع عن المعصية والندم ولكن هذا لا يعني أن هذه المفردة تقتصر على هذا المعنى فقط عند أهل اللغة.

فقد جاء في كتاب العين للخليل ابن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) (تُبتُ إلى الله تَوبةً وَمَتاباً، وأنا أتوبُ إلى الله ليَتوبَ عليَّ، قابلُ التّوب، أي قابل التوبة، تطرح الهاء والتوبة : الاستحياء يقال: ما طعامك بطعام توبة، أي لا يستحي منه ولا يُحتشم[١].

وتابعه في القول الازهري في كتابه تهذيب اللغة أن معنى تاب: تابَ الرجلُ إلى الله يتوب توبة وَمَتاباً، والله التواب يتوب على عبدهِ والعبد تائب إلى الله، وأصل تاب: عاد الى الله ورجع، وأناب وتاب عليه، أي عاد عليه بالمغفرة والله التواب يتوب على عبده بفضله اذا تاب اليه من ذنبه، واستتب فلاناً: أي عرضت عليه التوبة مما أقترف؛ أي الرجوع والندم على ما فرط منه. والتواب من الناس: هو الذي يتوب إلى ربهِ...[٢]

وذكر الزمخشري (ت ٣٩٨هـ) في كتابه أساس البلاغة إلى أن التوبة تدل على معنيين وفصل كل واحد منها إلى معانٍ مختلفة حيث ذكر أن التوبة أتبت أودعت تابوتي شيئاً ففقدته: أي ما اودعت صدري علما فقد منه. أما المعنى الآخر أن التوبة مأخوذة من توب: تاب العبد إلى الله من ذنبه وتاب الله على عبده والله التواب وإلى الله المتاب وأدرك فلان زمن التوبة أي الأسلام لأنه تاب فيه من الشرك.[٣]

١- كتاب العين، الخليل أبن أحمد الفراهيدي، توب/١/٢٢٩.

٢- ينظر تهذيب اللغة: الأزهري (ت ٣٧٠هـ) تاب/١/٤١٦.

٣- ينظر أساس البلاغة، الزمخشري التوبة/١/٨٩.

ومن خلال ما تقدم من آراء العلماء في اللغة نستطيع القول أن التوبة لها معان متشابهة لدى أصحاب المعاجم وهي أن التوبة:

١-الرجوع عن المعصية.

٢-الندم.

٣-الاستحياء.

٤-طلب العفو والمغفرة

المبحث الثاني: التوبة في الاصطلاح

هناك الكثير من المعاجم الأصطلاحية التي أوردت تعريف التوبة في الاصطلاح ولا يسعنا أن نذكرها جميعاً وإنما نكتفي بما ورد في بعضها مما يتفق والعرف المنهجي.

ذكر الراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢هـ) في كتابه المفردات في غريب القرآن أن معنى توب: التوب ترك الذنب على أجمل الوجوه وهو أبلغ وجوه الاعتذار، فإن الاعتذار على ثلاثة أوجهٍ: أمّا أن يقول المُعتذر لم أفعل أو يقول فعلت لأجل كذا أو فعلت وأسأتُ وقد أقلعتُ ولا رابع لذلك وهذا الاخير هو التوبة والتوبة في الشرع ترك الذنب لقُبحِهِ والندم على ما فرط منه والعزيمة على ترك المعاودة وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة فمتى اجتمعت هذه الأربع فقد كَملت شرائط التوبة تاب إلى الله تذكر ما يقتضي الانابة نحوه.

والتائب يُقال لِباذل التّوبة ويقابل التّوبة فالعبدُ تائب إلى الله والله تائب على عبده، والتّواب العبد الكثير التّوبة وذلك بتركه كُلَّ وقت بعض الذنوب على الترتيب حتى يصير تاركاً لجميعه، وقد يقال لله ذلك لكثرة قبوله توبة العباد حالاً بعد حال، والتوبة التامة الجمع بين ترك القبيح وتحري الجميل.[١]

وقال الجرجاني (ت ٦١٨هـ) في كتابه التعريفات إلى أن التوبة في الاصطلاح تعني (الرجوع الى الله بحل عقدة الإصرار عن القلب ثم القيام بكل حقوق الرب والتوبة الرجوع عن الأفعال المذمومة إلى المحمودة.[٢]

١- ينظر: مفردات الفاظ القرآن، الأصفهاني، توب، ١٦٩/٦.

٢- التعريفات، الجرجاني، ٣٤/٣.

ومن ملاحظة التعريف نلاحظ أن الجرجاني أراد أن يبين أن التوبة هي ترك الفعل المذموم والرجوع إلى طاعة الله بإمتثال أوامره وتجنب نواهيه.

وبيّن التهانوي (ت١١٥٨هـ) في كتابه كشاف أصطلاحات الفنون إلى أن التوبة هي (الندم على المعصية من حيث هي معصية مع عزم أن لا تعود أيضا إذا قدر عليها فقولهم على المعصية لأن الندم على المباح أو الطاعة لا يسمى توبة وقولهم من حيث هي معصية لأن من ندم على شرب الخمر لما فيه من صراع أو خفة العقل أو الاخلال بالمال والعرض لم يكن تائباً شرعاً وقولهم مع عزم أن لا تعوم إليها زيادة تقرير لأن الندم على الأمر لا يكون إلا كذلك ثم أن المعتزلة أشترطوا في التوبة أمور ثلاثة، رد المظالم وأن لا يعاود ذلك الذنب وأن يستديم الندم هي عند أهل السنة غير واجبة في صحة التوبة، أما رد المظالم بدراسة لا مدخل له في الندم على ذنب آخر وأما أن لا يعاود فلان الشخص قد يندم على الأمر زماناً ثم يبدو له والله تعالى مقلب القلوب من حال إلى حال، أنه إذا أرتكب ذلك الذنب مره أخرى وجبت عليه توبة أخرى وايضاً المعتزلة أوجبوا قبول التوبة على الله بناء على أصلهم الفاسد، أعلم أنهم أختلفوا في التوبة المؤقتة مثل أن لا يذنب سنة وفي التوبة نحو أن يتوب من الزنا دون شرب الخمر بناء على الندم إذا كان لكونه ذنباً عم الأوقات والذنوب جميعاً وقال في جميع السلوك التوبة هي الرجوع إلى الله تعالى مع دوام الندم وكثرة الاستغفار وما قيل أن التوبة هي الندم فمعناه أن الندم من أركان التوب، وقيل أن التوبة على نوعين توبة الأنابة وتوبة الاستجابة فتوبة الانابة أن تخاف من الله من اجل قدرته عليه وتوبة الاستجابة ان

تستحي من الله بقربه منك وقال ذو النون: توبة العوام من الذنوب وتوبة الخواص من الغفلة، فإن الغفلة من أكبر الكبائر، وتوبة الأنبياء من رؤية عجزهم عن بلوغ ما ناله غيرهم.[١]

وبعد الاطلاع على بعض كتب الاصطلاح نستنتج عدة امور منها:

١-أن التوبة هي الرجوع عن معصية الله تعالى إلى طاعته

٢-التوبة محبوبة إلى الله عز وجل ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[٢].

٣-التوبة واجبة على كل مؤمن ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ﴾[٣].

٤-من شروط التوبة الأعتراف بالذنب وإقراره، والشعور بعضيمه وأظهار الحس بالخجل منه دون تبرير أو أنكار محاسبة النفس وتهذيبها ومنصحتها بالخير والاقبال على الطاعات ومراجعتها وتحريضها ضد الذنوب والمنكرات.

٥-يجب أن تكون التوبة عن قرب عهد الخطيئة قبل أن تتراكم الذنوب على العبد فلا تقبل.

١- ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون: التهانوي، ١/٢٢٠-٢٢٢.

٢- البقرة/٢٢٢.

٣- التحريم/٨.

المبحث الثالث: العلاقة بين التوبة والاستغفار

أن لفظ (التوبة) يقرن دائماً بالاستغفار، وكذلك الاستغفار يقرن دائماً بالتوبة ولبيان العلاقة بين التوبة والاستغفار لابد من معرفة المراد بكلا اللفظتين.

وقد تعرفنا سابقاً أن التوبة في اللغة (الرجوع من الذنب وفي الحديث الندم توبة. والتوب مثله. وقال الأخفش: التَوْبُ جمع تَوْبة مثل عزمةٍ وعزم. وتاب إلى الله يتوب توباً وتوبةً ومتاباً: اتابَ ورجع عن المعصية إلى الطاعة ورجل تواب: تائب الى الله)...[١]، هذا في اللغة، أما في الاصطلاح فإن التوبة هي (ترك الذنب على أجمل الوجوه وهو أبلغ وجوه الاعتذار...[٢]، وقيل أن التوبة هي ترك الذنب لقبحه، والندم على ما فرط منهُ، والعزيمة على ترك المعاودة وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة...[٣].

أما الاستغفار في اللغة:

فقد جاء في كتاب معجم مقاييس اللغة لأبن فارس (ت ٣٩٥هـ) أن غفر: الغين والفاء والراء عُظْمُ بابه الشر، فالغفر: الشر والغفران بمعنى التغطية على الذنوب والعفو عنها...[٤].

١- ينظر: لسان العرب: ابن منظور (ت ٧١١هـ)، ٢٣٣/١.

٢- ينظر: المفردات في غريب القرآن: الراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، ٨٣.

٣- ينظر: التعريفات: الجرجاني (ت ٦١٨هـ)، ٦٣.

٤- ينظر: معجم مقاييس اللغة: أبن فارس، ٣٨٥/٤.

أما الاستغفار في الاصطلاح:

فقد جاء في كتاب المفردات في غريب القرآن للراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢هـ) أن الغفران والمغفرة من الله تعالى هو أن يصون العبد أن يمسه العذاب، وقد يقال غفر له إذا تجافى عنه في الظاهر وأن لم يتحاذق عنه في الباطن، والاستغفار طلب المغفرة بالمقال والفعال، فلم يؤمروا بأن يسألوه ذلك باللسان فقط، بل باللسان وبالفعل، فقد قيل: الاستغفار باللسان من دون ذلك بالفعال فعل الكذابين...[١].

وعلى هذا التوبة والاستغفار لفظان يشتركان في المعنى فيعطي كل واحد منها معنى آخر وذلك عند افتراقهما، أما عند الاقتراب فان لكل منها معنى خاص بقول الإمام ابن القيم (ت ٧٥١هـ): الاستغفار يتضمن التوبة والتوبة تتضمن الاستغفار وكل واحد منهما يدخل في مسمى الآخر عند الاطلاق وأما عند أقتران إحدى اللفظين بالأخرى فالاستغفار: طلب وقاية شر ما مضى، والتوبة: الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات اعماله، فها هنا ذنبان: ذنب قد مضى والاستغفار منه طلب وقاية شرهِ، وذنب يخاف وقوعهُ فالتوبة العزم على ان لا يفعله، والرجوع الى الله يتناول النوعين: رجوع اليه لبقيه شر ما يستقبل من شر نفسه وسيئات عمله وها هنا لابد من أمران: مفارقة شيء والرجوع إلى غيره فخصت التوبة بالرجوع، والاستغفار بالمفارقة، وأيضاً الاستغفار من باب أزاله الضرر، فالتوبة طلب جلب المنفعة والمغفرة أن يقيه شر الذنب وكل منهما يستلزم الآخر عند أفراده...[٢].

١- ينظر: المفردات في غريب القرآن: الراغب الاصفهاني: ٤٦٩/٢.

٢- ينظر: مدارج السالكين: ابن قيم الجوزية: ٣٠٧/١

المبحث الرابع: شروط التوبة

التوبة إلى الله تعالى من أعظم الحسنات، لأنها تزيل العوائق التي تقوم بين العبد وبين ربهِ تلك العوائق الكامنة في النفس من شهواتها ونزواتها ولن تكون التوبة صحيحة مقبولة حتى تتحقق فيها شروط تثبت صدق التائب في توبتهِ من هذه الشروط[١].

اولاً: أن تكون خالصة لله عز وجل لأن الله سبحانه لا يقبل من الاعمال إلا ما كان خالصاً له وحده مبتغى وجهه، وموافقاً أمرهُ بأتباع رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلا بد أن يكون العمل خالصاً إلى الله تعالى صواباً، أي موافقاً للسنة إذ قد يكون العمل صواباً ولا يكون خالصاً، فلا يقبل، وقد يكون خالصاً ولا يكون صواباً فلا يقبل ايضاً، فيكون الباعث للتوبة حُب الله وتعظيمه ورجاؤهُ، والطمع في ثوابه، والخوف من عقابه، لا تزلفاً إلى مخلوقٍ، ولا قصداً في عرضٍ من عروض الدنيا الزائلة.

ثانياً: الاقلاع عن المعصية لأن النفس المشغولة بلذة المعصية قلما تخلص عمل الخير، فيجاهد التائب نفسه لأقتلاع جذور الشر من قلبة، حتى يصبح نقياً خالصاً صافياً، تصدُرُ عنه أعمال الخير بنية صالحة مقبولةٍ عند الله، فإن كانت المعصية بفعل محرم تركه في الحال وإن كانت بترك واجب فعله في الحال، إن كان مما يمكن قضاؤه، وإن كانت مما يتعلق بحقوق الخلق تخلص منها وأداها إلى أهلها أو أستحلم منها.

ثالثاً: الندم على ما سلف منه في الماضي، والإقلاع عنه في الحال والعزم على الأ يعاود الذنب في المستقبل، فلن تكون التوبة صحيحة حتى يكون نادماً آسفاً حزيناً على ما بدر منه من المعاصي ندماً يوجب الأنكسار بين يدي الله عز وجل والأنابة اليه ومن هنا فلا يُعد تائباً ونادماً ذلك الذي يتحدث بمعاصيه السابقة التي قارفها يفتخر بذلك ويتباهى بهِ، بل هذا من المجاهرة التي قال عنها الرسول (صلى الله عليه واله وسلم)((كل شيء مُعافى إلا المجاهرون))[٢].

١- ينظر: كتاب التوبة الى الله معناها حقيقتها فضلها وشروطها: د. صالح غانم السدلان، ٢١-٢٥.

٢- ينظر: رواه البخاري (٧٥٠٧) ومسلم (٢٧٥٨)، وينظر لشرحة (فتح الباري)، ٤٧١/١٣.

رابعاً: العزم الجازم على عدم معاودة الذنب فيتوب من الذنب وهو يُحدث نفسهُ ألا يعود في المستقبل، والقصد لتدارك ما فات وأصلاح ما يأتي، ودوام الطاعة ودوام ترك المعصية إلى الموت، والعزم الجازم ايضاً على فعل المأمور، وترك المحظور، والتزام ذلك طيلة حياته وإذا وصل العبد الى هذه الدرجة من العزم الجازم فلا يضر توبته لله مره اخرى أن ندم وأسف وسارع الى التوبة قال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ((أذنب عبدٌ ذنباً فقال: اللهم أغفر لي ذَنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي فعلم ان له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب أغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أَن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، أعمل ما شئت فقد غفرت لك))[1]ومعنى قولة فقد غفرت لك ما دمت تذنب ثم تتوب غفرت لك.

خامساً: عدم الإصرار على المعصية: والإصرار هو عقد القلب على شهوة الذنب، والاستقرار على المخالفة، والعزم على المعاودة لأن التوبة مع الإصرار توبة الكذابين الذين يهجرون الذنوب هجراً مؤقتاً، يتحنون فيها الفرص المواتية لمعاودة الذنب، وقد بقيت حلاوته في قلوبهم، يتمنون مقارفته ما وجدوا السبيل إليه، وقد شرط الله لوجوب المغفرة ودخول الجنة عدم الإصرار على فعل الفاحشة او ظلم النفس قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾[2][3].

١- ينظر: رواه البخاري (٦٠٦٩)، وينظر: مسلم (٢٩٩٠).

٢- آل عمران /١٣٥-١٣٦.

سادساً: أن يستمر التائب في توبتهِ ولا يأتي بما ينقضها ويخالفها إذ الأستمرار في التوبة شرط في صحة كمالها ونفعها.

سابعاً: من شروط التوبة ان تصدر في زمن قبولها وهو ما قبل حضور الأجل، وطلوع الشمس من مغربها.

وبهذا يتضح أن التوبة كلٌ متكامل يفقد خصائصه كلها حيث يفقد أحد اجزائه، فمن اتى بشرط وأغفل آخر لا تقبل توبتهِ مالم يراعي بقية الشروط.

الفصل الثاني

اولاً: الموارد القرآنية لمفهوم التوبة.

ثانياً: السياق القرآني لمفردة التوبة.

اولاً: الموارد القرآنية لمفهوم التوبة

١–قال تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (١).

٢– قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢).

٣–قال تعالى: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣).

٤–قال تعالى: ﴿ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾ (٤).

٥–قال تعالى: ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (٥)

١– آل عمران: ١٢٨/ وينظر: النساء/٢٦، ٢٧/ المائدة، ٣٩، التوبة، ١٥–٢٧–١٠٢–١٠٦/ الفرقان، ٧١/ الاحزاب، ٧٣.

٢– التوبة: ١٠٤/ وينظر: النساء، ١٧، ١٨/ الشورى، ٢٥/ التحريم، ٨/ البقرة، ٣٧–٥٤–١٢٨–١٠٦/ التوبة ١١٨/النور ١٠/ الحجرات، ١٢.

٣– النور: ٥ /وينظر: البقرة، ١٠٦/ ال عمران ٨٩/ النساء، ١٤٦/ المائدة، ٣٤/ الاعراف، ١٥٣/ التوبة ٥–٣٤/ النحل، ١١٩/ غافر، ٧.

٤– الفرقان: ٧١/وينظر: التوبة، ١١٦–١١٨/ هود ، ١١٢/مريم، ٦٠/ طه، ٨٢–١٢٢/ الرعد، ٣٠.

٥– غافر، ٣.

ثانيا: لفظة التوبة في التفاسير

لفظ (التوبة) من الألفاظ المركزية في القرآن الكريم بل ثمة سورة برأسها تسمى سورة التوبة، وما ذلك إلا لأن التوبة باب عظيم من أبواب الرجوع إلى الله، وهي طريق لتصحيح العبد مسارة في هذه الحياة، ولضبط توجيهه نحو خالقة وبارئة، فالحياة محفوفة بالشهوات ومليئة المغريات، وقد ورد لفظ (التوبة في القرآن الكريم) في سبعة وثمانين موضعاً، جاء في ثلاثة وستين منها بصيغة الفعل، من ذلك قولة عز وجل: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا ﴾[1].

وجاء في أربعة وعشرين موضعاً بصيغة الأسم من ذلك قوله سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ ﴾[2]، والتوبة في القرآن جاءت على عدة معاني نذكر منها: الأول بمعنى الرجوع والانابة من ذلك قوله تعالى ﴿ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾[3]، أي يرجع بهم إلى طاعته وأداء الأمانات التي الزمهم حتى يؤدوها والثاني: بمعنى التجاوز والعفو، من ذلك قوله عز وجل ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾[4]، أي: عفا عنكم وعن ذنوبكم وعظيم ما أثمتم والثالث بمعنى الإيمان، من ذلك قوله تعالى ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ﴾[5] أي أستقم على دين ربك والعمل والدعاء اليه كما أمرت وأمر من أمن معك بان يستقيموا على الحق الذي أمرت به، والرابع بمعنى التخفيف والرخصة والإباحة من ذلك قوله تعالى ﴿ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ أي عاد

١- النور/ ٣١.

٢- النساء/ ١٧.

٣- الاحزاب/٧٣.

٤- البقرة/ ١٨٧.

٥- هود /١١٢.

عليكم بالعفو والتخفيف والخامس بمعنى الرحمة قول الله تعالى ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ ﴾[1]، أي ليس لك من الحكم شيء في عبادي ألا ما أمرتك به فيهم، أو أتوب عليهم برحمتي فإن شئت فعلت، أو أعذبهم بذنوبهم، وحاصل القول: أن لفظ (التوبة) جاء في القرآن على عدة معان، واكثرها ما جاء بمعنى (الرجوع)، والانابة وهو الأصل في معناه اللغوي، وجاء بدرجة أقل بمعنى (التجاوز)، (والعفو)، وجاء على قلة بمعنى (الرخصة) والتخفيف.

١- ال عمران /١٢٨.

١-قال تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾[١].

ذكر الطبري (ت ٣١٠هـ) في كتابه جامع البيان في تأويل القرآن، إن معنى قوله تعالى (ليس لك من الامر شيء) أي ليس اليك يا محمد من أمر خلقي إلا أن تنفذ فيهم أمري، وتنتهي فيهم إلى طاعتي، وإنما أمرهم الي أقضي فيهم وأحكم بالذي اشاء، من التوبة على من كفر بي وعصاني وخالف أمري أو العذاب أما في عاجل الدنيا بالقتل أو بالآخرة بما أعددت لأهل الكفر بي...[٢].

وجاء في كتاب مجمع البيان في تفسير القرآن للشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) إن قوله تعالى (أو يتوب عليهم) قيل في معناه وجهان: أو يلطف لهم بما يقع معه توبتهم فيتوب عليهم بلطفة لهم والآخر و يقبل توبتهم إذا تابوا كقوله (غافر الذنب وقابل التوب) ولا يطع هذه الصفة إلا الله تعالى لأنه يملك الجزاء بالثواب والعقاب أو يعذبهم الله تعالى أن لم يتوبوا وقبول التوبة والتعذيب فإنما هو إلى الله تعالى وليس للنبي (صلى الله عليه واله وسلم) من ذلك شيء وإنما إليه الهداية والدعاء فكأنه قال لا ترفع عنهم السيف إلا إن يتوبوا فيتوب عليهم أو يقوموا على كفرهم فيعذبهم بظلمهم...[٣].

١- آل عمران: ١٢٨.

٢- ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: الطبري: ج٣/ ٥٣٢.

٣- ينظر: التفسير الكبير، الفخر الرازي، ج٣، ٣٥٥.

وأوضح الفخر الرازي (ت ٦٠٤هـ) في كتابه التفسير الكبير إن سبب نزول هذه الآية إن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) أراد أن يلعن المسلمين الذين خالفوا أمره وانهزموا في معركة أُحد فمنعهُ الله من ذلك وهذا القول مروي عن أبن عباس (رضي الله عنهما) وذكر الفراء والزجاج وغيرهما أن قوله تعالى (أو يتوب عليهم) عطف على ما قبله، والتقدير: ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكبتهم، أو يتوب عليهم، والقول الثاني: أن معنى أو ههنا هو معنى حتى ومعنى الآية ليس لك من أمرهم شيء الا أن يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم، أو يعذبهم فتتشفى منهم، وقوله (او يتوب عليهم) مفسر عند أصحابنا بخلق التوبة فيهم وذلك عبارة عن خلق الندم فيهم على ما مضى وخلق العزم فيهم على أن لا يغفلوا مثل ذلك في المستقبل وحصول الارادات والكراهات في القلب لا يكون بفعل العبد وإنما بتخليف الله تعالى وتكوينه أبتداء ولما كانت التوبة عبارة عن الندم والعزم وكان هذا من جنس الأرادات والكراهات علمنا أن التوبة لا تحصل الا بخلق الله تعالى فصار هذا البرهان مطابقاً لقوله تعالى(أو يتوب عليهم) وأما المعتزلة ففسروا قوله تعالى (أو يتوب عليهم) أما بفعل الالطاف أو بقبول التوبة...[٢].

١- ينظر: مجمع البيان، للطبرسي، ٨٣٢/١.

وذكر السيد الطباطبائي (ت ١٤١٢هـ) في كتابة الميزان في تفسير القرآن أن معنى قوله (او يتوب عليهم) بيان لرجوع أمر التوبة والمغفرة إلى الله تعالى والمعنى: أن هذا التدبير المتقن منه تعالى إنما هو ليقطع طرفاً من المشركين بالقتل والأسر أو ليخزيهم أو يتوب عليهم أما القطع والكبت فلأن الأمر إليه لا اليك حتى تمدح وتذم وأما التوبة والعذاب فلأن الله هو المالك لكل شيء فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء...[١].

وبعد الاطلاع على مجموعة من التفاسير التي تعني بهذه الآية تبين لي أن سياق حديث القرآن الكريم في هذه الآية عن غزوة أُحد فأخبر الله تعالى نبيه (صلى الله عليه واله وسلم) أن ليس له من الحكم شيء في عبادة إلا ما أمره الله فيهم وأن التوبة والعقاب له وحده فيتوب عمن يشاء ويعذب من يشاء وهو على كل شيء قدير.

وقد جاءت التوبة في هذه الآية على عدة معاني عند المفسرين فقد جاءت بمعنى اللطف عند الطبرسي وجاءت بمعنى الندم والعزم على عدم تكرار الذنب عند الفخر الرازي وقد جاءت كدليل لقدرة الله على العذاب من جهة والمغفرة من جهة أخرى عند صاحب الميزان وكذا عند الطبري.

١- ينظر: الميزان، الطباطبائي، ٩/٤.

٢-قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[١].

ذكر السمرقندي (ت ٣٧٥هـ) في تفسيره المسمى بحر العلوم إن قوله تعالى (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ) يعني وما منعهم عن التوبة والصدقة فكيف لم يتوبوا ولم يتصدقوا. الم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عبادة والصدقة (وأن الله هو التواب الرحيم) يعني المتجاوز لمن تاب الرحيم بالمؤمنين...[٢].

وجاء في كتاب التبيان للشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ) أن معنى التوبة في هذه الآية أن المخاطب وجب عليه أن يعلم أن الله يقبل التوبة، لأنه إذا علم ذلك كان داعياً له إلى فعل التوبة والتمسك بها والمسارعة إليها وما هذه صورته وجب عليه أن يعلمه ليتخلص به من العقاب ويحصل له الثواب وسبب ذلك أنهم لما سألوا النبي (صلى الله عليه واله وسلم) أن يأخذ من مالهم يكون كفارة لهم لذنوبهم فأمتنع النبي من ذلك وقال: حتى يؤذن لي فيه فبين الله تعالى إنه ليس إلى النبي قبول توبتكم وأن ذلك إلى الله تعالى دونه، فإنه هو الذي يقبل الصدقات ويقبل التوبة وفعل التوبة يستحق به الثواب لأنها طاعة فأما أسقاط المعاصي المتقدمة عندها فالفعل لا يوجب ذلك وأنما علم ذلك سمعاً لإن السمع قطع العذر بأن الله يسقط العقاب عند التوبة الصحيحة وقوله تعالى (وأن الله هو التواب الرحيم) عطف على قوله ألم يعلموا والتواب في صفة الله معناه أنه يقبل التوبة كثيراً...[٣].

١- التوبة/ ١٠٤.

٢- بحر العلوم: السمرقندي: ٧٢/٢.

٣- التبيان: الطوسي/٥/٢٩٥.

وذكر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) في معنى هذه الآية قرئ، (ألم يعلموا) بالياء والتاء، وفيه وجهان أحدهما: أن يراد المتوب عليهم يعني ألم يعلموا قبل إن يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم (ان الله هو يقبل التوبة) إذا صحت، ويقبل الصدقات إذا حدث عن خلوص النية، وأن الله تعالى من شأنه قبول توبة التائبين. وقيل معنى التخصيص في هو: أن ذلك ليس إلى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) إنما الله هو يقبل التوبة ويردها...[١].

وتحدث الطباطبائي (ت ١٤١٢هـ) في كتابة الميزان أن مقارنة الصدقة بالتوبة لما أن التوبة تطهر وأيتاء الصدقة تطهر فالتصدق بصدقة توبة مالية كما أن التوبة بمنزلة الصدقة في الاعمال والحركات، ولذلك عطف على صدر الآية قوله ذيلاً: (وأن الله هو التواب الرحيم) فذكر عبادة بأسمية التواب والرحيم، وجمع فيهما التوبة والتصدق وقد بان من الآية أن التصدق وأيتاء الزكاة نوع من التوبة...[٢].

وبعد الإطلاع على مجموعة من التفاسير التي تعني بهذه الآية بين لي أن هذه الآية دافع إلى التوبة والصدقة اللتين كل منها وسيلة تحط من الذنوب له وتمحقها فإن الله تواب رحيم لمن أستقام ويرجع على من يرجع اليه بالرحمة والمغفرة. فقد جاءت التوبة بمعنى التجاوز عن الذنب عند السمرقندي وجاءت بمعنى قبول التوبة عند الطوسي وجاءت بمعنى إخلاص النية عند الزمخشري وجاءت بمعنى التطهير عند الطباطبائي.

١- ينظر: الكشاف، الزمخشري، ٢٩٧/٢.

٢- ينظر، الميزان، الطباطبائي، ٣١٥/٩.

٣- قال تعالى: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[١].

جاء تفسير هذه الآية في كتاب النكت والعيون للماوردي (ت ٤٥٠هـ) وهي بيان للآية السابقة من قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ﴾[٢]، وهي حكم جلد القاذف للمحصنة وهي الحرة العفيفة البالغة، ومعناها أن التوبة من القذف ترفع الفسق ولا تسقط الحد وأختلفوا في قبول الشهادة على أربعة أقوال: أحدها تقبل شهادته قبل الحد وبعده لأرتفاع فسقة وعودة إلى عدالته وهذا مذهب مالك والشافعي وبه قال جمهور المفسرين، والثاني: لا تقبل شهادته أبداً وهذا مذهب شريح، والثالث: أن تقبل شهادته بالتوبة قبل الحد ولا تقبل بعده وهذا مذهب أبي حنيفة، الرابع: تقبل توبته ولا تقبل شهادته فتكون التوبة بهذا المعنى بصلاح الحال والندم على القذف والاستغفار منه وترك العودة إلى مثله...[٣].

وقد أورد الشيخ الطوسي(ت ٤٦٠هـ) في كتابه التبيان أن معنى قوله تعالى (الا الذين تابوا) نهي من الله عن قبول شهادة القاذف على التأبيد، وحكم عليهم بأنهم فساق ثم استثنى من ذلك الذين تابوا من بعد ذلك واختلفوا في الاستثناء إلى ماذا يرجع فقال قوم: أنه من الفساق، فاذا قبلت شهادته حد أو لم يحد وهو قول سعيد بن المسيب وقال أهل العراق: لا يجوز قبول شهادة القاذف أبداً ولا خلاف في إنه يحد بأن تموت المقذوفة ولم يكن هناك مطالب ثم تاب وقال قوم أن توبة القاذف متعلقة بنفسه بإكذابها وهو المروي بأخبارنا وبه قال الشافعي وقال مالك بن أنس: لا يحتاج إلى ذلك...[٤]

١- سورة النور/٥.

٢- سورة النور/٤.

٣- ينظر: النكت والعيون، الماوردي، ٧٥/٤.

٤- ينظر: التبيان، الطوسي، ٤٠٩/٧.

وذكر الفراء البغوي الشافعي(ت٥١٦هـ) في تأويل قوله تعالى (الا الذين تابوا من بعد ذلك..) إن حرف الإشارة ذلك إشارة الى حكم الآية السابقة من قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ﴾[١]، وهو حكم جلد القاذف الذي يقذف المؤمنات المحصنات بدون بينة، فقد أختلف العلماء في قبول شهادة القاذف بعد التوبة وفي حكم هذا الاستثناء فذهب قوم أن القاذف ترد شهادته بنفس القذف وإذا تاب وندم على ما قال وحسنت حالته قبلت شهادته سواء تاب بعد اقامة الحد عليه أو قبلها، لقوله تعالى (الا الذين تابوا) وقالوا الاستثناء يرجع إلى رد شهادة والى الفسق فبعد التوبة تقبل شهادته ويزول عنه أسم الفسق وذهب قوم إلى أن الشهادة المحدودة في القذف لا تقبل أبداً وإن تاب...[٢].

وجاء في كتاب مجمع البيان للطبرسي (ت ٥٤٨هـ) في معنى هذه الآية يرجع الى قولين احدهما أنه يرجع إلى الفسق خاصة فيزول عنه أسم الفسق بالتوبة ولا تقبل له شهادة إذا تاب قبل اقامة الحد عليه، والاخر أن الاستثناء يرجع إلى الفسق خاصة فيزول عنه أسم الفسق بالتوبة ولا تقبل له شهادة إذا تاب بعد إقامة الحد عليه، والآخر أن الاستثناء يرجع الى الأمرين فإذا تاب قبلت شهادته حداً ولم يحد ويقول الزجاج: ليس القاذف أشد جرماً من الفاسق فتقبل شهادته ومن شروط توبة القاذف أن يكذب نفسه فيما قال...[٣]

وبعد الإطلاع على مجموعة من التفاسير التي تعنى بهذه الآية تبين لي أن في هذه الآية أستثناء في قبول شهادة القاذف بعد التوبة وكان هذا الاستثناء مثار اختلاف وجدل بين العلماء فبعظهم رأى أن شهادته تقبل بعد التوبة والندم، وبعظهم قال أن الشهادة لا تقبل ابداً وأن تاب. وقد جاءت التوبة على معاني عند المفسرين فعند الماوردي جاءت بمعنى قبول التوبة من القذف ترفع الفسق ولا تسقط الحد وجاءت بمعنى اكذاب النفس بما قالت عند الشيخ الطوسي والطبرسي وجاءت بمعنى الندم، وجاءت بمعنى الندم وتحسين الحالة عند البغوي.

١- النور/٤.

٢- ينظر: معالم التنزيل، البغوي، ٢٧٤/٣.

٣- مجمع البيان، الطبرسي، ٢٢٢/٧.

٤–قال تعالى: ﴿ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾[١].

جاء في كتاب الكشاف للزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ان قوله تعالى (ومن تاب وعمل صالحاً..) يريد ومن يترك المعاصي ويندم عليها ويدخل في العمل الصالح فإنة بذلك تائب إلى الله (متابا) مرضياً مكفراً عن السيئات والخطايا محصلاً للثواب، أو فأنه تائب متاباً إلى الله الذي يعرف حق التائبين والذي يحب التائبين والمتطهرين وفي كلام بعض العرب الله افرح بتوبة العبد من المضل الواجد، والضمان الوارد، والعقيم الوالد أو : فإنه يرجع إلى الله وإلى ثوابه مرجعاً حسناً وأي مرجع...[٢].

وذكر الطبرسي في كتابة مجمع البيان أن معنى قوله تعالى (من تاب) أي: من أقلع عن معاصيه، وندم عليها (وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً) أي يرجع إليه مرجعاً عظيماً جميلاً . وفرق علي بن عيسى بين التوبة إلى الله والتوبة من القبيح لقبحه بأن التوبة الى الله تقضي طلب ثوابه، وليس كذلك التوبة من القبيح لقبحه فعلى هذا يكون المعنى من عزم على التوبة من المعاصي فإنه ينبغي أن يوجد توبته إلى الله بالقصد إلى طلب جزائه ورضائه عنه، فإنه يرجع إلى الله فيكافئه وقيل: معناه من تاب وعمل صالحاً، فقد أنقطع إلى الله، فأعرضوا ذلك له، فإنه من أنقطع إلى خدمة الملوك فقد أحرز شرفاً فكيف المنقطع إلى الله سبحانه...[٣].

وقد أورد القرطبي (ت ٦٧١هـ) في كتابه الجامع لاحكام القرآن أن معنى قوله تعالى (ومن تاب وعمل صالحاً...) قال أبن عباس ، أن معنى من آمن من أهل مكة وهاجر ولم يكن قتل وزنى بل عمل عملاً صالحاً وأدى الفرائض فإنه يتوب إلى الله متاباً، أي أني فضلتهم وقدمتهم على من قاتل النبي وأستحل المحارم.

١- الفرقان/٧.

٢- ينظر: الكشاف، للزمخشري، ج٣/٢٨٧.

٣- ينظر: مجمع البيان، للطبرسي ، ٧/٣١٤-٣١٥.

وقال القفال: يحتمل أن تكون الآية بمعنى من تاب من المشركين، وقيل أي من بلسانه ولم يحقق ذلك بفعلة، فليس تلك التوبة نافعة، بل من تاب وعمل صالحاً فحقق توبته بالأعمال الصالحة فهو الذي تاب الى الله متابا أي تاب حق التوبة وهي النصوح ولذلك اكد بالمصدر بقوله (متابا) فلا يبعد في كرم الله ان يضع مكان كل سيئة حسنة...[١].

وقد أوضح السيد الطباطبائي (ت ١٤١٢هـ) في كتابة فانه يتوب إلى الله متابا أن المتاب مصدر للتوبة، وسياق الآية يعطي إنها مسوقة لرفع أستغراب تبدل السيئات حسنات بتعظيم امر التوبة وإنها رجوع خاص الى الله سبحانه فلا بدع في ان يبدل السيئات حسنات وهو الله يفعل ما يشاء في الآية ذلك شمول التوبة من جميع المعاصي سواء قارنت الشرك ام فارقته...[٢].

وبعد الاطلاع على التفاسير التي تعني بهذه الآية توضح لي أن من تاب وعمل صالحاً فآمن بالله وأنقطع اليه وأتبع رسوله فإن الله يبدل أعماله السيئة حسنة فتلك السيئات تنقلب بالتوبة النصوح الخالصة لوجه الله وليس التوبة المدعاة باللسان دون القلب الى حسنات بنفس تلك التوبة فلا عودة بعدها الى المعصية وقد جاءت التوبة على عدة معان عند هؤلاء المفسرين الذين اوردناهم في شرح هذه الآية فعند الزمخشري جاءت التوبة بمعنى ترك المعاصي وتابعة الطبرسي في أن التوبة الرجوع إلى الله مرجعاً عظيماً والعزم على التوبة من المعاصي وقد جاءت بمعنى التوبة النصوح بالفعل وليس باللسان فقط عند القرطبي وقد أوضح السيد الطباطبائي ان معنى التوبة رجوع خاص إلى الله تبدل فيه السيئات حسنات.

١- ينظر: الجامع لاحكام القرآن، للقرطبي، مج٧/٥٣.

٢- ينظر: الميزان، الطباطبائي، ١٥/٢٤٣.

٥-قال تعالى: ﴿ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾[١]

ذكر السمرقندي (ت ٣٧٥هـ) في تفسير قوله تعالى (غافر الذنب) لمن يقول لا اله الا الله مخلصاً يستر عليه ذنوبه (وقابل التوب) لمن تاب ورجع (شديد العقاب) لمن مات على الشرك ولم يقل لا إله إلا الله...[٢].

وجاء في كتاب مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي (ت ٥٤٨هـ) في قوله تعالى (وقابل التوب) أي يقبل توبة من تاب إليه من المعاصي بأن يثبت عليها ويسقط عقاب معاصاً تقدمها على وجه التفضل منه لذلك كان صفة مدح ولو كان سقوط العقاب عندها واجباً لما كان مدح وقال الغراء معناها ذي الغفران وذي قبول التوبة...[٣].

وقد ذكر أبن كثير (ت ٧٧٤هـ) في تفسيره في قوله تعالى (غافر الذنب وقابل التوب) اي يغفر ما سلف من الذنب ويقبل التوبة في المستقبل لمن تاب إليه، وخضع إليه، وقوله (شديد العقاب) أي لمن تمرد وطغى واثر الحياة الدنيا ويقرن هذين الوضعين التوبة والمغفرة وشدة العقاب ليبقى العبد بين الرجاء والخوف.

وقال ابو بكر عباس: جاء رجل الى عمر الخطاب (رض) فقال: يا أمير المؤمنين إني قتلت فهل لي من توبة؟ فقرا عمر ﴿ حم تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ﴾ وقال إعمل ولا تيأس...[٤].

١- غافر، ٣.

٢- ينظر: بحر العلوم، السمرقندي، ج٣، ١٦٠.

٣- ينظر: مجمع البيان، للطبرسي، ج٧/٧٩٩.

٤- تفسير ابن كثير: اسماعيل ابن كثير الدمشقي، ٣/١٩٠.

وجاء في كتاب الميزان للطباطبائي (ت ١٤١٢هـ) في قوله تعالى (غافر الذنب وقابل التوب) بصيغة أسم الفاعل للدلالة على الأستمرار التجددي فإن المغفرة وقبول التوب من صفاته الفعلية ولا يزال الله تعالى يغفر الذنب ثم يغفر ويقبل التوب ثم يقبل وغافر الذنب وقابل التوبة مجموعها كصفة واحدة متعلقة بالعباد المذنبين يغفر لهم تارة بتوبة وتارة بغيرها كالشفاعة...[١].

وبعد الأطلاع على مجموعة من التفاسير التي تتحدث حول هذه الآية تبين لي إن من أعظم نعم الله عز وجل إنه فتح باب التوبة على عبادة وهذه بُشارة لجميع المسلمين للمبادرة بالتوبة ومحي الذنوب والخطايا والرجوع الى طاعة الله والا فأن أصر العبد على ذنبة فأنهُ تعالى شديد العقاب.

وقد جاءت التوبة بمعاني عند المفسرين فقد جاءت عند السمرقندي بمعنى الرجوع الى الله بعد المعصية وجاءت بمعنى التفضيل على الناس بقبول توبتهم عند الطبرسي وجاءت بمعنى الرجاء في غفران الذنوب عند أبن كثير وقد جاءت بمعنى صفة فعلية لله عز وجل لدوام قبول التوبة على عبده وأن أخطاء مراراً أما بقبول التوبة او الشفاعة عند الطباطبائي.

١- ينظر: الميزان، الطباطبائي، ١٧/٣٠١-٣٠٢.

الفصل الثالث

موارد التوبة في الحديث النبوي الشريف

بعد أن تطرقت في الفصل الأول على معنى التوبة في اللغة والاصطلاح وذكرت في الفصل الثاني الموارد القرآنية التي وردت فيها لفظة التوبة وعرفنا آراء المفسرين في كل آية ومدى تشابهم وإختلافهم في إيراد معناها ونستطرق في هذا الفصل إلى الموارد التي وردت فيها التوبة في الحديث الشريف ومن خلال إجراء إحصائية على عدد مرات ورود التوبة في بعض الكتب المعتبرة في الحديث تبين لي:

قد وردت التوبة في كتاب من لا يحضره الفقيه للصدوق (ت ٣٨١هـ) بما يقارب ٦٨ حديثاً وقد تضمنت هذه الأحاديث التوبة ومشتقاتها وقد وردت التوبة ومشتقاتها أكثر من (٣٩) حديث في كتاب الكافي للكليني (ت ٣٢٩هـ) ولقد وردت التوبة في كتب الجمهور المعتبرة وهي صحيح البخاري وصحيح مسلم، سنن أبن ماجة، سنن الترمذي والموطأ، سنن أبن داود وسنن الدرامي، سنن النسائي. بما يقارب ١٣٥ حديث تضمنت التوبة ومشتقاتها.

جاء في كتاب صحيح البخاري لمؤلفهِ محمد بن أسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) في باب التوبة في كتاب الدعوات، قال قتاده توبوا الى الله توبة نصوحاً الصادقة الناصحة.

حدثنا أحمد بن يونس حدثنا أبو شهاب عن الأعمش عن عماره بن عمير عن الحرث بن سويد حدثنا عبد الله بن مسعود حديثين أحدهما عن النبي والآخر عن نفسه قال: إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه وأن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفهِ فقال به هكذا قال أبو شهاب بيدهِ فوق أنفه ثم قال لله أفرح بتوبة عبده من رجل نزل منزلاً وبه مهلكة ومعه راحلتهُ عليها طعامهُ وشرابهُ فوضع رأسهُ فنام نومة فأستيقظ وقد ذهبت راحلتهُ حتى أشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله قال أرجع إلى مكاني فرجع فنام نومة ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده تابعه...[١].

١- صحيح البخاري: البخاري: ١٤٦/٧.

وقد جاء شرح هذا الحديث في كتاب فتح الباري لمؤلفة ابن حجر (ت ٨٥٢هـ) قال أبن أبي جمرة السبب في ذلك أن قلب المؤمن منور فاذا رأى من نفسهِ ما يخالف ما ينور به قلبه، عظم الأمر عليه والحكمة في التمثيل بالجبل أن غيره من المهلكات قد يحصل التسبب إلى النجاة منه بخلاف الجبل إذا سقط على الشخص لا ينجو منه عادة وحاصله أن المؤمن يغلب عليه الخوف والمراقبة يستصغر عمله الصالح ويخشى من صغير عمله السيء (قوله أن الفاجر يرى ذنوبه كذباب) في رواية أبي الربيع الزهراني عن أبي شهاب عن الاسماعيلي، يرى ذنوبه كأنها ذباب مر على أنفه أي ذنبه سهل عنده لا يعتقد إنه يحصل له بسببه كبير الضرر كما أن ضرر الذباب عنده سهل وكذا دفعه عنه وهي الطير المعروف قوله (فقال به كذا) أي نحاه بيده أو دفعه هو من أطلاق القول على الفعل قالوا وهو أبلغ قوله قال أبو شهاب هو موصول بالسند المذكور (قوله بيده على انفه) هو تغير منه لقوله

فقال به قال المحب الطبري إنما كانت هذه صفة المؤمن لشدة خوفه من الله ومن عقوبته لأنه على يقين من الذنب وليس على يقين من المغفرة والفاجر قليل المعرفة بالله فلذلك قل خوفه وأستهان بالمعصية وقال أبن أبي جمرة السبب في ذلك أن قلب الفاجر مظلم فوقوع الذنب خفيف عنده ولهذا تجد من يقع في المعصية إذا وعظ يقول هذا سهل قال ويستفاد من الحديث أن قلة خوف المؤمن من ذنوبه وخفتها عليه يدل على فجوره قال والحكمة في تشبيه ذنوب الفاجر بالذباب، كون الذباب أخف الطير وأحقرهُ وهو مما يعاين ويدفع بأقل الاشياء قال وفي ذكر الأنف مبالغة في أعتقاده خفة الذنب عنده، لان الذباب قلما ينزل على الأنف

وإنما يقصد غالباً العين وفي الحديث ضرب المثل بما يمكن وارشاد الى الحض على محاسبة النفس واعتبار العلامات الدالة على بقاء نعمة الإيمان وفيه ان الفجور امر قلبي كالإيمان وفيه دليل لأهل الدنيا لانهم لا يكفرون في قوله (الله افرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلاً) في رواية ابي الربيع المذكورة بتوبة العبد عنده المؤمن وعند مسلم من رواية جرير ومن رواية ابي أسامة لله اشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن وكذا عنده من حديث أبي هريرة وأطلاق الفرح في حق الله مجاز عن رضاه قال الخطابي: معنى الحديث أن الله ارضى بالتوبة وأقبل لها والفرح الذي يتعارفهُ الناس بينهم غير جائز على الله.

وهو كقولة تعالى ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [1]، أي راضون وقال أبن أبي جمرة: كنى عن أحسان الله للتائب وتجاوزه عنه بالفرح لأن عادة الملك إذا فرح بفعل أحد أن يبالغ في الاحسان اليه وقال القرطبي في المفهم هذا أمثل قصد به بيان سرعة قبول الله توبة عبده التائب وأنه يقبل عليه بمغفرته ويعامله معاملة من يفرح بعمله ووجه هذا المثل أن العاصي حصل بسبب معصية في قبضة الشيطان وأسرة وقد أشرف على الهلاك فإذا لطف الله به ووضعه التوبة خرج من الشؤم تلك المعصية وتخلص من أسر الشيطان...[2].

١- المؤمنون، ٥٣.

٢- فتح الباري: أبن حجر: باب التوبة: ١١/٨٩-٩٠.

وبعد الأطلاع على هذا الحديث تبين لي التصوير الدقيق لحال المؤمن مع الذنوب فالمؤمن لشدة خوفهِ من الله لا يأمن على نفسه يرى ذنبة كالجبل الذي لو وقع عليه لا هلكة فهو خائف غير أمن من سوء عاقبة الذنب بينما الفاجر المقصر والعاصي قليل المعرفة بالله يستهين بالذنب ويأبه له ولا يراه شيئاً يذكر بل يراه كأنه ذباب وقع على أنفه فأبعده غير ميال من سوء العاقبة....

أما فيما يتعلق في فضل التوبة وأستحباب الأستغفار والأستكثار منه فقد وردت أحاديث عديدة منها ما أورده الإمام أبو الحسن مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ) في كتابه صحيح مسلم في كتاب الذكر والتوبة والاستغفار، حدثني أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا، ابو خالد يعني سليمان بن حيان، وحدثنا أبن نمير حدثنا أبو معاوية وحدثني أبو سعيد حدثنا حفص يعني أبن غياث كلهم عن هشام وحدثني أبو خيثمة زهير بن حرب حدثنا اسماعيل بن إبراهيم عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريره قال: قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) (من تابَ قَبلَ أن تَطلَع الشمس من مغرِبها تابَ الله عليهِ...)[١].

١- صحيح مسلم: مسلم النيسابوري، ٧٣/٨.

وقد جاء شرح هذا الحديث في كتاب شرح مسلم لمؤلفة النووي (ت ٦٧٦هـ) قال العلماء هذا حد لقبول التوبة وقد جاء في الحديث الصحيح أن للتوبة باب مفتوحاً فلا تزال مقبولة حتى يغلق فإذا طلعت الشمس من مغربها أغلق وأمتنعت التوبة على من لم يكن تائباً قبل ذلك وهو معنى قوله تعالى ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا ﴾[١]، ومعنى تاب الله عليه قبل توبته ورضى بها وللتوبة شرط آخر وهو : أن يتوب قبل الغرغرة، كما جاء في الحديث الصحيح، وأما في حالة الغرغرة وهي حالة النزع، فلا تقبل توبته ولا غيرها، ولا تنفذ وصيته ولا غيرها...[٢].

وبعد التأمل في الحديث النبوي الشريف نستدل على عدة أمور منها:

اولاً: دلت النصوص على أن التوبة لا تنفع صاحبها بعد طلوع الشمس من مغربها ونحن نعلم أن طلوع الشمس من مغربها من علامات يوم القيامة وقد جاء النص للحث على التوبة والعمل الصالح قبل طلوع الشمس من مغربها وقيام الساعة فمن شروط التوبة أن تكون في وقتها.

١- الانعام، ١٥٨.

٢- شرح مسلم: النووي، ٢٥/١٧.

وقد أورد مسلم (ت ٢٦١هـ) حديث آخر للنبي (صلى الله عليه واله وسلم) يتحدث فيه عن أهمية التوبة وعظيم أمرهما وقد جاء فيه: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عنبر عن شعبة عن عمر بن مرة عن أبي بردة قال سمعت الأغر وكان من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يحدث أبن عمر قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ياأيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة[١].

وقد جاء شرح هذا الحديث في كتاب شرح صحيح مسلم لمؤلفة النووي (ت ٦٧٦هـ) وجاء فيه ان قولة (صلى الله عليه واله وسلم) (يا أيها الناس توبوا إلى الله تعالى فإني أتوب في اليوم مائة مره) هذا الأمر بالتوبة موافق لقولة تعالى ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴾[٢] وقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ﴾[٣]، فأستغفار النبي هنا ليس لذنب ارتكبه ولكن لكمال عبوديته وتعلقه بذكره سبحانه ونحن إلى الاستغفار والتوبة أحوج، قال اصحابنا وغيرهم من العلماء: للتوبة ثلاثة شروط: ان يقلع عن المعصية، وأن يندم على فعلها، وأن يعزم جازماً أن لا يعود الى مثلها أبداً، فأن كانت المعصية تتعلق بآدمي فلها شرط رابع، وهو رد الظلامة الى اصحابها، او تحصيل البراءة منه،...[٤].

ومن خلال الأطلاع على هذا الحديث وشرحه تبين لي أن النبي الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر: يأمر الناس بالتوبة والاستغفار ويخبر عن نفسه (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه يستغفر الله ويتوب اليه لا لذنوب أرتكبها ولكن لاستشعارهِ بعظمة حق الله تعالى وتقصير العبد مهما عمل في شكر نعمة وكذلك وجوب التوبة فالمخاطب الناس كافة دون أستثناء.

١- صحيح مسلم: مسلم النسيباوي، ٧٣/٨.

٢- النور، ٣١.

٣- التحريم، ٨.

٤- شرح مسلم: النووي، ٢٤/١٧.

وقد جاء في كتاب من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ) عن احمد بن محمد عن ابن فضال، عمن ذكره، عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول (صلى الله عليه واله وسلم) في اخر خطبه خطبها: (من تاب قبل موته بسنه تائباً الله عليه، ثم قال: ان السنة لكثيرة، من تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه، ثم قال: ان الشهر لكثير، ومن تاب قبل موته بجمعه تاب الله عليه، ثم قال ان الجمعة لكثيره، ومن تاب قبل موته بيوم تاب الله عليه، ثم قال: وان يوماً لكثير، ومن تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه، ثم قال وان الساعة لكثيره، وقد بلغت نفسه هذه واهوى بيده الى حلقه تاب الله عليه)[١].

وقد جاء شرح هذا الحديث في كتاب شرح اصول الكافي لمؤلفة مولي محمد صالح المازندراني (ت ١٠٨١هـ) ان قولة (صلى الله عليه واله وسلم) (من تاب قبل موته بسنة قبل الله توبته) قال الشيخ في الاربعين: المراد بقبول التوبة أسقاط العقاب المترتب على الذنب الذي تاب منه وسقوط العقاب بالتوبة مما أجمع علية اهل الإسلام وإنما الخلاف فيه هل يجب على الله حتى لو عاقب بعد التوبة كان ظالماً أو هو تفضل يفعله سبحانه كرماً منه ورحمة بعبادة المعتزلة على الأول والاشاعرة على الثاني واليه ذهب الشيخ ابو جعفر الطوسي في كتاب الاقتصاد وتوقف المحقق الطوسي طاب ثراه في التجريد، ومختار الشيخين هو الظاهر، دليل الوجوب مدخول أن ما ذكر من تفضيل مراتب التوبة بعضها على بعض وجوبها فوري عند العلماء وفي تسويفها خطر عظيم لإمكان أن يأتيه الموت بغتة فلا يوفق للتوبة ولإن ضلمة الذنوب قد يتراكم على قلبه إلى أن تصير ريناً وطبعاً فلا يقبل المحو بعد ذلك قطعاً...[٢].

١- من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ١٣٣/١.

٢- ينظر: شرح اصول الكافي: المازندراني، ١٨٠/١٠.

الفصل الرابع

الاقتباس

١-الأقتباس: لغةً، الشعلة، يقال خذ لي قبساً من نار[١]، وقال أبن فارس في مقاييس اللغة (القاف والباء والسين) أصل صحيح يدل على صفة من صفات النار ثم يستعاد من ذلك القبس، شعلة النار...[٢].

٢-الأقتباس أصطلاحاً: لقد عرف الرازي (ت ٦٠٦هـ)، الأقتباس (هو أن يضمن الكلمة من القران الكريم أو آية منه في الكلام تزييناً لنضامه وتفخيماً لشأنه...[٣]. وقد وسع الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ) ذلك ليشمل الحديث الشريف، فيقول (هو ان يضمن الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث ولا ينبه عليه للعلم بهِ)[٤].

والأقتباس نوعان (مباشر وغير مباشر)

اولاً: الأقتباس المباشر

هو أن الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) قام بذكر الآية القرآنية نصاً في حديثه ومن خلال أطلاعي على الكثير من أحاديث التوبة المنسوبة إلى الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) لم أجد ذلك وأنما تبين لي أن اغلب هذه الأحاديث إن لم يكن جميعها اقتباسها غير مباشر.

ثانياً: الأقتباس غير المباشر

إن الاقتباس الغير مباشر معناه إن الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) لم يقم بذكر الآية نصاً في احاديثهِ وأقوالهِ وإنما أقتبس بعض الكلمات أو أستوحى معنى من المعاني ووضعها في أحاديثه حتى يدرك بها السامع أو المتلقي إنها تنسجم مع القرآن الكريم.

١- ينظر: العين، الخليل بن احمد، ٨٦/٥.
٢- ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ١٣٧/٤.
٣- ينظر: نهاية الايجاز في رواية الاعجاز، الرازي، ٢٧٠/١-٢٧٤.
٤- ينظر: الايضاح في علوم البلاغة، جلال الدين القزويني، ٥٧٥/١.

قال الرسول (صلى الله عليه واله وسلم): ((يا أيها الناس توبوا الى الله فأني اتوب في اليوم اليه مائة مره))[١].

فقول الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) كما بيناه سابقاً لا لذنب أرتكبه ولكن لعظيم أمر التوبة وأبراز لجانب عظيم من خلق النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وهو الذي وصفهُ الله في كتابه بقوله ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[٢]، فهي حض من الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) لأصحابه والناس كافة على التوبة وإتخاذه قدوة حسنة في ذلك، قال تعالى ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[٣]، وشاهدنا من هذا الحديث قوله (يا أيها الناس توبوا الى الله...) فهو اقتباس غير مباشر من قوله تعالى ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٤]، يقول القرطبي (ت ٦٧١هـ) ولا خلاف بين الأُمة في وجوب التوبة، والمعنى توبوا الى الله: فأنكم لا تخلون من سهو وتقصير في اداء حقوق الله تعالى فلا تتركوا التوبة في كل حال...[٥].

١- ينظر: اخرجه مسلم في صحيحه: ٧٣/٨.

٢- القلم/٤.

٣- الاحزاب/٢.

٤- النور/٣١.

٥- ينظر: أحكام القرآن، القرطبي، ١٥٨/١٢.

عن النبي، قال جعفر حدثنا عبيد الله بن اياد عن ابيه عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) قال ((كيف تقولون بفرح رجل انفلتت منه راحلتهُ تجر امامها، بأرض قعر ليس بها طعام ولا شراب، وعليها له طعام وشراب فطلبها حتى شق عليه، ثم مرت بجدل شجرة فتعلق زمامها فوجدها متعلقة به؟))، قلنا: شديداً يا رسول الله، فقال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) : ((اما والله لله اشد فرحاً بتوبة عبده من الرجل براحلتهِ))[١].

فضرب الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) هذا المثل في حديثه لبيان فرح الله سبحانه وتعالى بتوبة العبد وهي اعظم من فرحة عبد اضاع راحلته في مكان مهلك لا طعام ولا ماء فأخذ يبحث عنها حتى أيس من العثور عليها فنام في مكانه فلما استيقظ وجدها امامه ففرح...[٢].

قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[٣]، فالله سبحانه وتعالى يحب عباده الذين كلما وقعت منهم زله، احدثوا لها توبة، لان ذلك من أسباب إظهاره سبحانه صفة الحلم، والعفو والجود والرحمة والكرم، وإذا أحب من يتكرر منه التوبة بتكرار المعاصي فهو التائب الذي لم يقع له بعد توبته زله.

١- ينظر: مجمع البخاري، البخاري، ٩/١٠، وينظر: مسلم، ٤٩٦.

2-https://www.alukah.net,241711440.

٣ - النساء/١٧-١٨.

وقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[٣].

أن معنى قوله تعالى هو إشارة للذين يصرون على إرتكاب السيئات ويصرون على المعاصي والآثام ويسرفون في الذنوب حتى إذا حضر أحدهم الموت تاب وأستغفر أضطراراً وليس اختياراً فهذه التوبة غير مقبولة منه وجاءت الآية إشارة الى ذلك، ونلاحظ أن معنى هذه الآية مقارب لقول الرسول (صلى الله عليه واله وسلم): ((ان الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر))[١]، والمعنى أن الله يقبل توبة عبده إذا تاب إليه من المعاصي والذنوب التي أرتكبها ويضل يقبل توبته حتى يدركه الموت حينئذ لا تقبل توبتهِ.

وبعد الأنتهاء من عمل هذه الموازنة تبين لي أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أغلب أحاديثه كان اقتباس غير مباشر من آيات القران الكريم بصورة بلاغية بحتة.

١- ينظر: سنن الترمذي، الترمذي، ٥/٤٣-٤٤.

٢- البقرة/٢٢٢.

الخاتمة

الحمد لله الذي وفقني في تقديم هذا البحث ها هي القطرات الأخيرة في مشوار هذا البحث ولعل قلمي وفق في تقديم ما يدور في خلدي وفي نهاية الأمر فإنني بشر أصيب وأخطئ، فمن الله العفو ومني الى أساتذتي والمطلعين على هذا البحث الأعتذار، وقد كان هذا البحث يتكلم عن موضوع (التوبة بين القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف) وقد بذلنا كل الجهد لكي يخرج هذا البحث بهذا الشكل ويمكن أن تذكر أبرز النتائج التي وصل إليها هذا البحث:

- يتبلور مفهوم التوبة في اللغة والأصطلاح بأنها الرجوع عن معصية الله تعالى والندم على فعلها والعزم على عدم العودة اليها وهذا المعنى هو ما أتفق عليه علماء اللغة والأصطلاح في كتبهم.
- كما تبلور عن مفهوم التوبة في اللغة والاصطلاح ثلاث شروط أساسية للتوبة هي: الأقلاع عن المعصية فوراً فأن كانت في حق الخالق الله تركها، وان كانت في حق المخلوق تحلل من صاحبها ويكون ذلك بردها أليه أو بطلب السماح منهُ، والعزم على أن لا يعود الى تلك المعصية مستقبلاً.
- إن مفهوم الاستغفار الذي قد يقصد منه أكثر من معنى، فقد يأتي بمعنى طلب المغفرة وهو دعاء وقد يكون بمعنى الرجوع والأنابة إلى الله تعالى.
- قد جعل القرآن الكريم بذكر التوبة والاستغفار في آيات عديدة وسور مختلفة وبيان لطف الله في قبول توبة التائبين.
- وقد تبين لي من خلال الاطلاع على تفاسير بعض الآيات أن التوبة يجب ان تكون خالصة لوجه الله تعالى لا رياء ولا مصلحة ولا تفريط وأن تكون النية حاضرة.

- محاسبة الأنسان لنفسه وتهذيبها بالأقبال على الأعمال الصالحة والأقلاع عن المعاصي والأبتعاد عن بيئاتها ودوافعها ومن يحرض عليها.

- أن الله فتح أبواب التوبة لعباده وأمرهم أن يلجؤوا إلى ساحات عطفه وعفوه ومغفرته وكرمه وجودة، قال تعال ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾.

- من خلال أطلاعي على أحاديث النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وشروحها تبين لي أن نظرة المؤمن لذنبه ومعصيته تختلف عن نظرة الفاجر والكافر فالمؤمن يصعب عليه أصغر الذنوب أما الفاجر والكافر فلا يأبه للذنب ولا يراه شيئاً يذكر.

- يجب على التائب إدراك الوقت المخصص لقبول التوبة قبل بلوغ الغرغره أو قبل قيام الساعة لخصوصية هذه المرحلة من الزمن في عمر الأنسان حيث يبدء بها بالعجز والضعف والهلاك.

- من خلال عمل الموازنة بين الحديث النبوي الشريف والقرآن الكريم تبين لي أن الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) اقتبس بصورة غير مباشرة بعض الكلمات واستوحى بعض المعاني القرآنية ليكون كلامه قريباً من الذكر الكريم ويمكن لقارئ القرآن والسنة التعرف على هذه الأقتباسات الجميلة.

المصادر

*القرآن الكريم.

١. الإيضاح في علوم البلاغة المعاني لبيان والبديع، الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمن جلال الدين، تح: أبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م.

٢. التبيان في تفسير القرآن، أبي جعفر الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، مكتب الاعلام الاسلامي ١٤٠٩هـ.

٣. تعريفات الجرجاني، أبي الحسن علي بن محمد علي الجرجاني (ت٥٩٨هـ)، تح: محمد خليل عيناتي، ط٣، دار المعرفة، بيروت–لبنان، ١٤٢٢هـ–٢٠٠١م.

٤. تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، لابي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن أبراهيم السمرقندي (ت٣٧٥هـ)، تح: الشيخ علي محمد معوض، الشيخ أحمد عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ١٤١٣هـ–١٩٩٣م.

٥. تفسير القرآن العظيم: أبي الفداء أسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، طبعة منقحة ومراجعة، شركة أبناء شريف الانصاري، بيروت–لبنان، ١٤٢٢هـ–٢٠٠٢م.

٦. تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري(ت ٣٧٠هـ)، تح: رياض زكي قاسم، ط١، دار المعرفة، بيروت–لبنان، ١٤٢٢هـ.

٧. التوبة الى الله معناها حقيقتها فضائلها وشروطها، د. صالح بن غانم السلان، ط٤، دار بلنسية للنشر والتوزيع، الرياض السعودية، ١٤١٦هـ.

٨. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي(ت ٦٧١هـ)، تح: سالم مصطفة البدري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ١٤٢٥هـ–٢٠٠٠م.

٩. جامع البيان في تأويل القرآن: لابي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، ط٤، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م.

١٠. سنن الترمذي، أبو عيسى الترمذي (ت٢٧٩هـ)، تح: بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الاسلامي، ١٩٩٦هـ.

١١. شرح أصول الكافي: مولى محمد صالح المازندراني (ت ١٠٨١هـ)، تح: ابو الحسن الشعراني، ضبط وتصحيح: السيد علي عاشور، ط١، دار أحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م.

١٢. شرح صحيح مسلم، أبو زكريا، يحيى بن شرف الدين النووي (ت٦٧٦هـ)، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت–لبنان، ١٤٠٧هـ–١٩٨٧م.

١٣. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تح: صدقي جميل العطار، ط١، دار الفكر، بيروت–لبنان، ١٣٧٩هـ.

١٤. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)/ تح: الدكتور أبراهيم السامرائي، ط١، انشارات اسوة، قم–ايران، ١٤١٤هـ.

١٥. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، صححة واشرف على طبعة محي الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت–لبنان، ١٣٧٩هـ.

١٦. الكافي، أبي جعفر محمد بن يعقوب بن أسحاق الكليني، تح: علي أكبر الغفاري، ط٥، دار الكتب الاسلامية، طهران–ايران، ١٣٦٧هـ.

١٧. كشاف اصطلاحات الفنون، محمد بن علي بن محمد التهانوي (ت١١٨٥هـ)، وضع حواشية احمد حسن، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ١٤٧هـ–١٩٩٨م.

١٨. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الإمام أبي القاسم جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، رتبة وصححة محمد عبد السلام شاهين، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ١٤٢٤هـ.

١٩. لسان العرب، أبن منظور (ت٧١١هـ)، تح: حسين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي، ط٣، دار أحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، ١٤٢٤هـ–٢٠٠٥م.

٢٠. مجمع البيان في تفسير القرآن، أمين الاسلام أبي علي الفضل بن حسن الطبرسي (ت٥٨١هـ)، تح: لجنة من العلماء والمحققين الاخصائيين، ط١، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت–لبنان، ١٤١٥هـ–١٩٩٥م.

٢١. مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد وأياك نستعين، شمس الدين بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تح: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت–لبنان، ط٣، ١٤١٦هـ–١٩٩٦م.

٢٢. معالم التنزيل: للإمام أبي محمد أبن الحسن الفراء البغوي (ت٥١٦هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ١٤٢٤هـ–٢٠٠٤م.

٢٣. معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسن أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، ط١، دار الجيل، ١٤٢٠هـ–١٩٩٩م.

٢٤. المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تح: محمد خليل عيناتي، ط٣، دار المعرفة، بيروت–لبنان، ١٤٢٢هـ–٢٠٠١م.

٢٥. من لا يحضرة الفقيه، الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، تح: علي اكبر الغفاري، ط٢، دار الكتب الاسلامية، طهران–ايران، ١٣٩٧هـ.

٢٦. الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي(ت ١٤٢٠هـ)، قدله السيد كمال الحيدري، ط١، دار احياء التراث العربي، بيروت–لبنان، ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م.

٢٧. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، تح: نصر الله حاجي مفتي اوغلى، ط١، دار صادر، بيروت–لبنان، ٢٠٠٤م.

٢٨. https://www.alukah.net,241711440.